الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ٣١ اغسطس ٢٠٠٢

كيف نحقق للسودان سلامه وأمنه الدائمين؟

فى الخطاب الذى عين به رئيس الولايات المتحدة مندوبه للسودان «جون دانفورث» أوصاه خيرا بأن يعيد للسودان أمنه، ولما كان «القس الرسول» مندوبا عن الاتجاهات المسيحية فى أمريكا، فسر البعض هذا الأمن بأنه وقف القتال ولكنه أيضا الأمن الدينى، السياسى والاقتصادى والاجتماعى، خصوصا يجينا دانفورث من مناطق النفوذ البترولى فى أمريكا وبذلك يمثل رسالة «الكتاب المقدس» ولكنه يغلفها كما جاء فى تقريره بالستار المخملى لسحر الذهب الأسود..

لم يكن طبعا فى رسالة «دانفورث» علاقة بين أمن السودان والأمن العربى القومى، ولو أنه لا يتنكر «للأمن الإفريقى» الذى ذكره فى تقريره بين الحين والآخر.. ولأمريكا غرام إفريقى هذه الأيام فاق كل وقت مضى.. ولما توصلت حكومة السودان، والحركة الشعبية المعارضة إلى اتفاق الإطار فى «ماشاكوس» والذى أطلق عليه النقاد «اتفاق مشاكس» نسبة لما أثاره من تداعيات وهى ما عبرنا عنها فى مقال سابق بالأهرام خشينا فيه أن تتأثر العلاقات المصرية والسودانية بتدهور من جراء تفسيرات هنا وهناك إما لعدم قراءة الاتفاق الإطار أو لبروز أجندات خاصة للمعلقين تدور حول خلاف أيدولوجى خارج عن الموضوع..

ونحمد الله للسيد الرئيس حسنى مبارك وهو يهدئ روع شباب النيل الأعلى بأن الاتفاق إطار وعلينا جميعا أن نعمل لنحسن التعامل معه وليحقق وحدة السودان إذ إن انفصال السودان عن بعضه لا يهدد السودان وحده ولكنه يهدد إفريقيا جميعها، وأكد الرئيس لشبابه أنه لا صلة لهذا بمشكلة المياه التى تضمنتها المواثيق الدولية وتنظمها فى إطارها المختلف، وأن القرار السودانى موضع احترام مصر. مصر التى لا تفرق فى علاقاتها الطيبة جدا بين شمال السودان وجنوبه، مصر ابنة النيل البكر، وشقيقة شمال السودان وجنوبه بل الأخت الكبرى لدول حوض النيل جميعا..

وإذا قد رفع الرئيس مبارك مستوى النقاش والتفكير الى مستوى عال لا يأبه باللغو وانما يتجه الى مصلحة السودان الحقيقية وهى مصلحة مصر، والعرب والأفارقة، وهى أن ينتشر السلام فى ربوع السودان وأن يكون هذا السلام أمنا ودائما..

والسؤال الذى يجب أن نجيب عليه بعد خطاب الرئيس المصرى فى الإسكندرية كيف نحقق للسودان هذا السلام الدائم الآمن وليس بالضرورة هذا السلام الذى يسعى مندوب الرئيس الأمريكى لتحقيقه فى السودان، وكذلك دول الاتحاد الأوروبى ولكل أجندته الخاصة.. تواترت التعليقات على اتفاق إطار «ماشاكوس»، ومعظمها يتخذ مرجعيات «جيوبوليتيكية»، فيتحدث عن المؤامرات لتفتيت البلاد العربية، ويعيد إلى الذهن اتفاق تقسيم الهلال الخصيب فى منتصف القرن الماضى، ويعزز ذلك حتى يصل الى اتفاق أوسلو، ومن هذه التعليقات الجيوبوليتيكية، ما يربط كل ذلك بتمزيق ميثاق الوحدة الإفريقية ١٩٦٣ واتحاد إفريقيا الذى لم تمض الا أيام قليلة على توقيعه ثم يربط كل ذلك بسياسات أمريكا فى أفغانستان وبحر قزوين وسعيها الى قيام جبهة بترولية جديدة تمتد من السودان إلى غرب إفريقيا..

ونحن لا ننكر احتمالات «سياسات جيوبوليتيكية» تريد ان تلعب دورها فى السودان وبالعكس يجب ان نكون على حذر من كل ذلك.. ولكننا ايضا يجب الا ننسى ولا نستبعد من هذه النظرات الدولية موضوعين مهمين أولهما قمة الأرض فى «جوهانسبرج» التى يدعو فيها زعماء العالم خصوصا «العالم الثالث» إلى إنهاء التمييز العنصرى العالمى بين الأغنياء والفقراء وقيام تنمية عالمية دائمة تطالب بضمانات أفضل للإدارة الجيدة فى خمسة مجالات أساسية هى مياه

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

أكثر نظافة وطاقة غير ملوثة وصحة أفضل وزراعة مستديمة والحفاظ على التنوع البيولوجي، وهذه هي وصايا التنمية المستديمة التي عرضت على مؤتمر قمة الأرض ونرجو أن يوافق عليها أو على أكثرها.

أما الموضوع الثاني فهو ما انتهى إليه تقرير هيئة الأمم المتحدة الإنمائي عن «التنمية الإنسانية» في البلاد العربية وما أشار إليه هذا التقرير من وجوب إعطاء حرية أكثر للمواطن ومعنى ذلك ديمقراطية اكثر، ومن وجوب تمكين المرأة من القيام بدورها وهي اكثر من نصف المجتمع كما يقول الرئيس المصري واخيرا من وجوب العناية بنظم تعليم صالحة تؤدي الى عالم المعرفة والتكنولوجيا.. ويهمنا ونحن نعالج موضوع تحقيق السلام والأمن في السودان أن يقوم كل ذلك على هذه الأسس الصالحة التي اتفق عليها أو سيتفق عليها في قمة الأرض وعلى تنفيذ توصيات تقرير الأمم المتحدة عن التنمية الإنسانية في البلاد العربية.. لتشمل جنوب السودان..

إن واجبنا الآن في السودان، وفي مصر أيضا والبلاد العربية أن نعمل جميعا على تحقيق تنمية شاملة للسودان خصوصا لجنوب السودان، هذه التنمية الشاملة الدائمة هي أساس السودان الجديد وضمان وحدته.. وأول ما يتبادر الى الذهن دور الحكومات دور حكومة السودان وحكومة مصر، ومن غريب أن تعقد اللجنة العليا للبلدين اثناء اجتماع ماشاكوس، وبرأس الطرف المصري رئيس وزراء مصر والطرف السوداني نائب رئيس جمهورية ويتم الاتفاق على عشرات الاتفاقيات لتدعيم التعاون والتنمية بين مصر والسودان بما في ذلك جنوبه طبعا ولا يعرف القارئ المصري، ولا يعرف رجل الأعمال ما تضمنته هذه الاتفاقيات التي لم تلق أقل اهتمام من الرأي العام ولو بمقال واحد، مع أن التعليقات على اتفاق ماشاكوس في الصحف المصرية فقط تجاوزت الـ ٣٥٠ صفحة..

فمن واجب حكومة السودان ومصر أن تتعاونا لتدعيم أواصر تنمية دائمة خصوصا في الجنوب، غير أن الحكومات وحدها لا يمكن أن ترتهن وتحتكر العمل الإنمائي وإنما ننادي «المجتمع المدني» على مختلف ألوان الطيف فيه جمعيات أهلية وقطاع خاص، وجامعات، وأندية ومؤسسات مختلفة لتعنى بقضايا التنمية في الجنوب.. لقد بدأت نقابة أطباء مصر وممثلها بالتعاون مع اتحاد الأطباء العرب تفكيرا عميقا وتدبيرا عمليا لنكون من أطباء مصر والعرب بدايات عمل صحي وطبي واجتماعي على غرار «أطباء بلا حدود» الفرنسية.. هذه الجماعة التي عرفت في العالم بأعمالها الجليلة وتدعيمها للصحة الوقائية ومحاربتها للأمراض المنتشرة في إفريقيا خصوصا الإيدز والملاريا وغيرها من الأمراض الاستوائية، ولاشك أن الجنوب في حاجة ماسة إلى هذا الدعم الصحي، بل إن الجنوب في حاجة إلى تطهير أراضيه من الألغام التي غرسها المتحاربون من الطرفين.. وكذلك يمكن أن تقوم جمعيات المهندسين بأعمال عظيمة تخلق من المهندس ما سمي في الصين بحفاة الأطباء ونقول نحن في حاجة الى اصلاحات عمرانية لما تخرب في الجنوب

من طرق وجسور ومطارات وغيرها مما يمكن للمهندس المصري والعربي العمل على إصلاحه وخصوصا تدمير الطرق البرية وتعويق الطرق الملاحية، وإصلاح الاتصال بالسكة الحديد وبالسيارات وبالطائرات..

كذلك تحتاج من الجامعات ان تتعاون وتتضافر جهودها ليس فقط في «البحوث العلمية» الضرورية للتنمية ولكن هذه البحوث التي لابد أن تسبق أي مشروع تنموي جاد دون الحديث عن المناهج وتدريب المعلمين وتبادل الأساتذة والطلبة خصوصا التجهيزات والبنى الأساسية للمدارس والجامعات.

إن الجنوب يعاني تدمير غاباته وحيواناته خصوصا الحيوانات البرية النادرة في

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

إفريقيا وفى هذا مجال للعمل المشترك العربى والإفريقى معا.. ولا أريد ان أثير هنا أهمية الجنوب كنبع من منابع النيل وقد يقال ان النيل الأبيض مصدره الأول لا يمد النيل الرئيسى الا بـ ١٥٪ فقط من كمية مياهه التى توزع فى أسوان ولكن أهم من ذلك ان الانهار التى تنبع من السودان كبحر الغزال وبحر العرب وغيرهما تقع كلها فى الجنوب وان كمية الأمطار التى تغزى الهضبتين الاستوائية والإثيوبية بإمدادات كثيرة، كلها تصب فى الجنوب إلى جانب المياه الجوفية التى تكثر فى غرب البلاد وشرقها ولكن يظل الجنوب مهما فى إدارة مياه النيل واقتصاداتها ولذلك لابد من تدعيم واستمرار رجال الرى فى مصر والسودان فى هذا المجال.

ويجب ألا نغفل اهمية «البترول» فى مستقبل علاقات السودان شماله وجنوبه خصوصا ولكننا نقول ان اكتشافات البترول التى تركز فى الجنوب حاليا هى فى طريقها الى الزيادة فى الشمال وان البترول طريق تصديره هو الشمال وليس أى اتجاه آخر، واذا لابد من الوصول الى حل عادل فى تقسيم ثروته خصوصا الاستثمار فيه.

والبترول ليس مصدر الطاقة الوحيد فى السودان كما هو معلوم ولكنه سيكون من أهمها بعد الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وغيرها من الطاقات الجديدة.

وبعد، إن ما قصدته من هذا المقال الذى كتب بعد أن ألقى السيد رئيس جمهورية مصر كلمته فى شباب وادى النيل والذى أيضا سبقه تصريحات لرئيس السودان والمسئولين فيه ان ما قصدته هو أن تتوحد الجهود وتتضافر النيات وتتضافر كل القوى السياسية فى السودان وفى مصر لأن تركز عملها فى الفترة القادمة فترة الانتقال وهى قصيرة يجب أن ننتهز فرصتها لنعيد للسودان سلامه وأمنه ووحدته ويجب ألا تشغلنا الهواجس الأيديولوجية ولا الخلافات الحزبية والطائفية والقبلية عن العمل الجاد المثمر والذى يستهدف وحدة السودان..

إننا نعتقد ان اتفاق ماشاكوس ولو انه منتج امريكى واوروبى يجب الا يلهينا مصدره عن ان نتدبر مصلحة السودان ومصلحة وادى النيل ومصلحة البلاد العربية ولنعرف ما بعده وليكن هدفنا بعد وقف القتال تحقيق السلام والأمن فى السودان ولاشك ان تنمية الجنوب والشمال هى المفتاح الوحيد لتحقيق هذا الأمر فوق كل حساسيات أخرى.

د. بشير البكرى
سفير ومفكر سودانى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية